أثر (المَسَرّة وتعجيلها) في النص القرآني عند المفسرين دراسة لغوية

فلاح رسول حسين الحسيني[1]
1قسم اللغة العربية ، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، كربلاء، العراق
*المؤلف المراسل: falah.r@uokerbala.edu.iq

الملخص

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين الطاهرين أمّا بعد:

فقد شغل القرآن الكريم فكر العلماء والمفسرين والمتدبّرين وراحوا الى إنعام النظر فيه مستغرقين في النظر اليه للوصول الى المعنى المناسب للمقام ، وقد أفاضوا فيه أيّما إفاضة في الشرح والتحليل ، وهذا خير شاهد على إعجاز القرآن وأنه لا تنقضي عجائبه ، وقد حاول الباحث التعرّف على أثر (المسرّة وتعجيلها) في النص القرآني عند المفسرين وكانت الدراسة لغوية ، متتبعا الآراء عند المفسرين ، وقد كشف البحث عن آثار عدّة لِكلا الامرين (المسرّة) و (تعجيل المسرّة) ، كذلك اشتملت بعض الآثار على صور متنوعة ، وقد توصّل الباحث الى مجموعة من النتائج أودعها في الخاتمة ، ومن الله الفضل والإنعام في البدء والختام.

الكلمات المفتاحية: المسرة، تعجيل المسرة، النص القرآني، المقام.

The Affection of (Pleasure and its Acceleration) in the Qur'anic Text according to Commentators

Linguistic Study

Falah Rasoul Hussein Al-Husseini[1]
1Department of Arabic, College of Education for Human Sciences, University of Karbala, Karbala, Iraq
*Corresponding author: falah.r@uokerbala.edu.iq

Abstract

In the name of God, the most gracious, the most merciful

Praise be to God, Lord of the Worlds, and prayers and peace be upon Muhammad and his good and pure family. Having said that:

The Holy Qur'an occupied the minds of scholars, commentators, and thinkers, and they devoted themselves to examining it deeply, immersing themselves in looking at it to arrive at the appropriate meaning for the position. They went to great lengths in explanation and analysis, and this is the best evidence of the miraculous nature of the Qur'an and that its wonders never cease. The researcher has tried to identify the effect of (Pleasure and its acceleration) in the Qur'anic text according to the commentators. The study was linguistic, following the opinions of the commentators. The research revealed several effects of both matters (pleasure) and (acceleration of pleasure). Some of the effects also included various forms, and the researcher reached a set of results that he deposited. In the end, and from God is the grace and blessings in the beginning and the end.

Keywords: Pleasure, Hastening Pleasure, Qur'anic Text, Position

المقدمة

الحمد لله الرحمن الذي خلق الإنسان علّمه البيان ودعاه الى التدبر في القران الذي أثبت إعجازه وخلوده وبقاءه وارتقاءه على مر العصور والازمان .

أما بعد : فيعد المقام ركنا مهما يتكئ عليه المقال ، فالمقال من حيث الذكر والحذف والتقديم والتأخير واختيار الالفاظ وغيرها ، كل ذلك خاضع للمقام وحال السامع او المخاطب ، ولاسيما في النصوص الاعجازية او البلاغية ، وقد اختار الباحث موضوع (المسرة وتعجيلها) ، وهو من صلب موضوع المقام ومراعاته ، فالمتكلم يراعي الاخر في موقف ما او ظرف ما ؛ يهدف من ذلك المسرة او تعجيلها ، فأحيانا يكون لمجرد المسرة (ادخال المسرة) ، واحيانا يكون المقصود هو (تعجيل المسرة) ، وكان لتلك المراعاة أثر في النص من نواح عدة كشف عنها البحث.

وقد استقرأت الموضوع في كثير من تفاسير القرآن الكريم ولاسيما المشهور منها ، وقسمت الموضوع على مبحثين: الأول: أثر المسرة في النص القرآني ، والثاني : اثر تعجيل المسرة في النص القرآني.

والدراسة تنتمي الى الحقل اللغوي فيدخل فيه الجانب النحوي والجانب البلاغي ، والمقام والسياق ، والتعبير القرآني بشكل عام.

والله نسأل أن يكون بحثنا ذا قيمة عند أهل العلم والمعرفة ، وأن يكون ذا وزن لنا في الاخرة، والحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول: أثر (المسرة) في النص القرآني

المسرة لغة: مِن سرّه بمعنى أفرحه ((وسَرَّهُ سُرُوراً وسُرّاً، بالضم، وسُرًى، كبُشْرَى، وتَسِرَّةً ومَسَرَّةً: أفْرَحَه، وسُرَّ هو، بالضم، والاسمُ: السَّرُورُ، بالفتح))[1].

وقد بيّن المفسرون أثر (المسرة) في مواطن شتى ذكروها في اثناء تحليلهم للنص القرآني وكان التأثير في جوانب عدة: كالتأكيد والايجاز والمفاجأة في الذكر والتفنن والتنوع باختيار المفردات الباعثة على السرور ، والاتيان بصيغة فعلية

(1) القاموس المحيط : 406.

دون أخرى ، والتقديم ، وكان الباعث وراء ذلك مراعاة المخاطب او السامع في إدخال السرور، وسنتناول الاثار على النحو الاتي:

تأكيد الجملة:

مِن الآثار تأكيدُ الأخبار ، جاء ذلك في **قوله تعالى ((فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا))** (القصص، الآية : 25).

فالاهتمام وإدخال المسرة كانا وراء تأكيد الجملة ((وَتَأْكِيدُ الْجُمْلَةِ فِي قَوْلِهِ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ حِكَايَةٌ لِمَا فِي كَلَامِهَا مِنْ تَحْقِيقِ الْخَبَرِ لِلِاهْتِمَامِ بِهِ وَإِدْخَالِ الْمَسَرَّةِ عَلَى الْمُخْبَرِ بِهِ.))[1] فتم مراعاة المخبر به عن طريق توكيد الخبر ب (إنّ).

الايجاز والمفاجأة في الذكر:

من الاثار الأخرى الايجاز وترك المقدمات والشروع بالمفاجأة بالذكر ، نحو **قوله تعالى : ((يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلى رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً))** (الفجر، الآية: 27).

ففي هذا النداء الكريم، الذي يدعو به الله سبحانه وتعالى أهل ودّه، من وسط هذا البلاء الخالق، المحيط بالناس يوم القيامة– هو قارب النجاة، الذي يخفّ مسرعا إلى تلك السفينة الغارقة في هذا البحر اللّجى، فيحمل هؤلاء الذين أكرمهم الله ، فنجاهم من شر هذا اليوم، ولقاهم نضرة وسرورا.. إن هذا النداء الذي يجيء على فجاءة وسط هذا البلاء، لهو أوقع أثرا، وأبلغ فى إدخال المسرة ، من أن يجيء مسبوقا بمقدمات تشير إليه[2].

التفنن والتنوع باختيار المفردات الباعثة على السرور:

نرى ذلك جليا عند الحديث عن **قوله تعالى: ((وَيُطافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوابٍ كانَتْ قَوارِيرَا))** (الانسان، الآية: 15). أشار المفسرون الى التفنن والتنوع عن طريق مقارنة الآية الكريمة مع غيرها ، جاء في تفسير الآية: ((أَيْ تَأْتِيهِمْ آنِيَتُهُمْ مِنْ فِضَّةٍ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ وَمِنْ ذَهَبٍ فِي أَوْقَاتٍ أُخْرَى كَمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ فِي سُورَةِ الزُّخْرُفِ [٧١] يُطافُ عَلَيْهِمْ بِصِحافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوابٍ لِأَنَّ لِلذَّهَبِ حُسْنًا وَلِلْفِضَّةِ حُسْنًا فَجُعِلَتْ آنِيَتُهُمْ مِنَ الْمَعْدِنَيْنِ النَّفِيسَيْنِ ...، أَوْ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَآنِيَةٍ مِنْ ذَهَبٍ مُتَنَوِّعَةٍ مُتَزَاوِجَةٍ لِأَنَّ ذَلِكَ أَبْهَجُ مَنْظَرًا مِثْلَ مَا قَالَ مَرَّةً وَحُلُّوا أَساوِرَ مِنْ فِضَّةٍ [الْإِنْسَان: ٢١]، وَمَرَّةً

(1) التحرير والتنوير: 20/ 104.

(2) ينظر: التفسير القراني للقران: 16/ 1563.

يُحَلَّوْنَ فِيها مِنْ أَساوِرَ مِنْ ذَهَبٍ [الْكَهْف: ٣١]، وَذَلِكَ لِإِدْخَالِ الْمَسَرَّةِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِحُسْنِ الْمَنَاظِرِ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَتَمَنَّوْنَهَا ...، وَأَوْثِرَ ذِكْرُ آنِيَةِ الْفِضَّةِ هُنَا لِمُنَاسَبَةِ تَشْبِيهِهَا بِالْقَوَارِيرِ فِي الْبَيَاضِ.))[1].

فالتفنن والتنوع من اجل حسن المناظر لإدخال المسرة، وقد أثبت المفسر ذلك عن طريق تحليل آيات الكتاب العزيز، التي وردت في مواطن متفرقة.

الاتيان بصيغة فعلية دون غيرها:

ونرى ذلك في الاتيان بالفعل المضارع في **قوله تعالى: ((يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةٍ مِنْهُ وَرِضْوانٍ وَجَنَّاتٍ لَهُمْ فِيها نَعِيمٌ مُقِيمٌ))** (التوبة، الآية: 21).

فَإِسْنَادُ التَّبْشِيرِ إِلَى اسْمِ الْجَلَالَةِ بِصِيغَةِ الْمُضَارِعِ، الْمُفِيدِ لِلتَّجَدُّدِ، مُؤْذِنٌ بِتَعَاقُبِ الْخَيْرَاتِ عَلَيْهِمْ، وَتَجَدُّدِ إِدْخَالِ السُّرُورِ بِذَلِكَ لَهُمْ، لِأَنَّ تَجَدُّدَ التَّبْشِيرِ يُؤْذِنُ بِأَنَّ الْمُبَشَّرَ بِهِ شَيْءٌ لَمْ يَكُنْ مَعْلُومًا لِلْمُبَشَّرِ وَإِلَّا لَكَانَ الْإِخْبَارُ بِهِ تَحْصِيلًا لِلْحَاصِلِ[2].

اطلاق الفعل:

من ذلك **قوله تعالى: ((وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ * وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ))** (الصافات، الآيتين: 178-179).

هنا إطلاقِ الفعلينِ (أبصر، يبصرون) عن المفعول: ذكر النسفي ((وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حتى حِينٍ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ)) وإنما ثنى ليكون تسلية على تسلية وتأكيداً لوقوع الميعاد إلى تأكيد وفيه فائدة زائدة وهي إطلاق الفعلين معاً عن التقييد بالمفعول وأنه يبصر وهم يبصرون ما لا يحيط به الذكر من صنوف المسرة وأنواع المساءة))[3].

فالإطلاق يعني ان هناك أشياء لا تحيط بها الاوصاف، قال أبو السعود: ((...مع ما في إطلاقِ الفعلينِ عن المفعول من الإيذانِ بأنَّ ما يبصره صلى الله عليه وسلم حينئذٍ من فنونِ المسارِ وما يُبصرونه من أنواعِ المضارِّ لا يحيطُ به الوصفُ والبيانُ وقيلَ أُريد بالأوَّلِ عذابُ الدُّنيا وبالثَّاني عذاب الآخرة))[4].

(1) التحرير والتنوير: 392/29.
(2) ينظر : التحرير والتنوير : 149/10.
(3) تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) : 141/3.
(4) ارشاد العقل السليم : 7/ 211.

وما يتعلق بموضوعنا هو اطلاق الفعل لما فيه من أنواع المسار، ما لا يحيط به الوصف ، وفي هذا من السرور ما فيه، بخلاف لو قُيّد الفعل بمفعول يدل على معنى محدد.

التقديم:

وذلك نحو **قوله تعالى: ((عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ))** (التوبة، الآية: 43).

وقد عبروا في هذا الموضع بتقديم المسرة على المضرة[1]: ((في قوله: (عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ) حيث قدم العفو على العتاب، وقد أحسن من قال: إن من لطف الله بنبيه: أن بدأه بالعفو قبل العتب.))[2].

ومن هذه الآية نعلم مكانة الرسول صلى الله عليه وآله عند ربه، وعلوّ قدره ؛ فقد بشّره مولاه جل شأنه بالعفو ، ولأنه لو قال له معاتباً: لم أذنت لهم؟ لخيف عليه أن ينشق قلبه حزناً وكمداً[3].

وقد جنح بعضهم إلى الافراط إلى درجة أنّهم أساؤوا إلى مقام النّبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، وزعموا أن الآيات المذكورة آنفا دليل على إمكان صدور العصيان والذنب من قبل النّبي(صلى الله عليه وآله وسلم)، والإنصاف أنّه لا دليل في الآية على ذلك، وحتى ظاهر الآية لا يدلّ على ذلك ، وربّما يمكن أن يسمى ذلك تركاً للأولى فحسب. كما يُحتمل في تفسير الآية هو أنّ العتاب أو الخطاب المذكور آنفاً إنّما هو على سبيل الكناية، ولم يكن في الأمر حتى «تركُ الأَولى» بل المراد بيان روح النفاق في المنافقين ببيان لطيف وكناية في المقام[4].

المبحث الثاني: أثر تعجيل المسرة في النص القرآني

التعجيل في اللغة: مِن العَجَل، وهو السرعة ((العَجَلُ والعَجَلَةُ، مُحرَّكتينِ: السُّرْعةُ. وهو عَجِلٌ بكسر الجيمِ وضمِّها، وعَجْلانُ وعاجِلٌ وعَجيلٌ من عَجالَى وعُجَالَى وعِجالٍ، وقد عَجِلَ، كفَرِحَ، وعَجَّلَ تَعْجيلاً وتَعَجَّلَ))[5].

لاشك في أنّ لتعجيل المسرة أثرا في النص ، وقد تطرق القزويني الى تعجيل المسرة في حديثه عن تقديم المسند اليه قائلا: ((وأما تقديمه فلكون ذكره أهم : إما؛ لأنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه وإما ليتمكن الخبر في ذهن السامع؛

(1) تفسير حدائق الروح والريحان : 276/11.
(2) المصدر نفسه: 276/11.
(3) ينظر: أوضح التفاسير : 229/1.
(4) ينظر: الأمثل : 6/ 45.
(5) القاموس المحيط : 1029.

لأن في المبتدأ تشويقًا إليه... وإما لتعجيل المسرة أو المساءة، لكونه صالحًا للتفاؤل أو التطير، نحو "سعد في دارك" و"السفاح في دار صديقك"...))[1].

وفي هذا المبحث يؤكد البحث _ من خلال كلمات المفسرين وتحليلهم _ أن لتعجيل المسرة أثرا في شكل التركيب في النص، واتخذ ذلك صورا عدة ، وسنتناولها تباعا ، ونبدأ بالتقديم والتأخير لكثرته.

التقديم والتأخير: وقد اشتمل على ضروب عدة، فهناك تقديم جار ومجرور، وتقديم اسم، وتقديم جملة على جملة، وجمل على جمل، من ذلك **قوله تعالى:**

((أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ)) (الانشراح، الآية:1-2).

والشاهد فيه تقديم (لك)، وتقديم (عنك)، يقول في ذلك أبو السعود ((... وزيادةُ الجارِّ والمجرورِ معَ توسيطِه بينَ الفعلِ ومفعولِه للإيذانِ من أولِ الأمرِ بأنَّ الشَّرحَ من منافِعِه عليهِ الصلاةُ والسلامُ ومصالحِه مسارعةً إلى إدخالِ المسرةِ في قلبِه عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ وتشويقاً لهُ إلى ما يعقبُهُ ...وقوله تعالى ((وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ)) عطفٌ على ما أشيرَ إليهِ من مدلولِ الجملةِ السابقةِ كأنه قدْ شرحنَا صدرَكَ ووضعنَا الخ وعنكَ متعلقٌ بوضعنَا وتقديمُهُ على المفعولِ الصريحِ مع أن حقه التأخرُ عنْهُ لما مرَّ آنِفاً منَ القصدِ إلى تعجيلِ المسرَّةِ والتَّشويقِ إلى المؤخَّرِ ولِما أنَّ في وصفِه نوعَ طُولٍ ...))[2].

وجاء في تفسير البحر المديد ((وزيادة " لك " وتوسُّطه بين الفعل ومفعوله للإيذان بأنَّ الشرح من منافعة صلى الله عليه وسلم ومصالحة، مسارعة إلى إدخال المسرة في قلبه صلى الله عليه وسلم وتشويقاً إلى ما يعقبه.))[3].

فالتقديم في كلا الموضعين (لك، عنك) لتعجيل المسرة لأنها من منافعه صلى الله عليه وآله وسلم . وتنوعت تعبيراتهم في هذا الشأن بين التعجيل وبين المسارعة.

وحري بالذكر أن لشرح الصدر أهمية كبرى خصوصا لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلا يمكن أساساً لقائد كبير أن يجابه العقبات دون سعة صدر. ومن كانت رسالته أعظم (كرسالة النّبي الأكرم) كانت الضرورة لشرح صدره أكبر؛ كي لا تزعزعه العواصف ولا تثني عزمه الصعاب ولا تبعث في نفسه اليأس مكائد الأعداء. وهذه كانت أعظم هبة إلهية لرسول ربّ

(1) ينظر: الايضاح في علوم البلاغة : 2/50-51. وينظر: اعراب القران وبيانه : 8/ 246.
(2) ارشاد العقل السليم : 9/171-172. وينظر حدائق الروح والريحان : 32/120.
(3) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد : 6/476.

العالمين[1].

وقد جاء في (التفسير الكاشف) بيانٌ للظروف التي عاشها رسولنا الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم): ((ضاق النبي (صلى الله عليه واله وسلم) ذرعا بفساد المجتمع الذي كان يعيش فيه، وحار في أمره وهو يلتمس الطريق لإصلاح قومه وهدايتهم حتى نزل عليه القرآن، وأنار له السبيل إلى ما يبتغيه من صلاح وإصلاح، فاطمأن قلبه وانشرح صدره ((وَوَضَعْنا عَنْكَ وِزْرَكَ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ)). الوزر الحمل الثقيل ، والمراد به هنا همّ النبي وغمه لما كان عليه قومه من الشرك والضلال ، فأراح الله نبيّه بالقرآن الكريم من الهمّ والغمّ))[2].

فقد طمأنت هذه الآيات قلب النبي وشرحت صدره ، وأراحه الله من الهم والغم.

قوله تعالى: ((أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ)) (الحج، الآية: 65).

والشاهد فيه تقديم (لكم) على المفعول الصريح لتعجيل المسرة ، قال أبو السعود : ((((أَلَمْ تَرَ أَنَّ الله سخر لَكُم مَّا فِي الارض)) أي جعلَ ما فيها من الأشياءِ مذلَّلةً لكم معدَّةً لمنافعكم تتصرَّفون فيها كيفَ شئتُم فلا أصلبَ من الحجرِ ولا أشدَّ من الحديدِ ولا أهيبَ من النَّارِ وهي مسخَّرةٌ لكم وتقديمُ الجارِّ والمجرور على المفعول الصريح لما مر مرارا من الاهتمامِ بالمقدَّمِ لتعجيل المسرَّةِ والتِّشويقِ إلى المؤخَّرِ))[3].

فالتسخير لهم ولأجلهم لا لغيرهم ، فهم موضع اهتمام من لدن المُسخِّر ، كل ذلك مدعاة لتعجيل المسرة.

قوله تعالى: ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ ...)) (المائدة، الآية: 1).

إذ قدم الجار والمجرور (لكم) على نائب الفاعل، وقد ذكروا في تفسير الآية: ((البهيمةُ كلُّ ذات أربع وإضافتُها إلى الأنعام للبيان كثوب الخزّ وإفرادُها لإرادة الجنس أي أحِلّ لكم أكلُ البهيمة من الأنعام ... وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعلِ لما مرَّ مراراً من إظهار العناية بالمقدم لما فيه من تعجيلِ المسرَّةِ والتِّشويقِ إلى المؤخَّرِ))[4].

فالعناية بالمقدم عنوان عام ينطوي على مسائل عدة وامور كثيرة، وقد كان تعجيل المسرة اول ما ذكره المفسر.

(1) ينظر: الأمثل: 20/ 181.
(2) التفسير الكاشف: 7/ 581.
(3) ارشاد العقل السليم: 6/117-118.
(4) المصدر نفسه: 3/2.

قوله تعالى: ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ)) (المائدة، الآية: 15).

الشاهد (يبين لكم كثيرا) وسبب الاستشهاد تقديم (لكم) على المفعول، ذكر أبو السعود: ((وإيثارُ الجملة الفعلية على غيرها للدَلالة على تجدّد البيان أي قد جاءكم رسولُنا حال كونه مبيناً لكم على التدريج حسبما تقتضيه المصلحة ((كَثِيراً مّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الكتاب)) أي التوراةِ والإنجيل كبِعثةِ محمدٍ (صلَّى الله عليهِ وآله وسلم) وآيةِ الرجم في التوراة وبشارةِ عيسى بأحمدَ (عليهما السلام) في الإنجيل وتأخيرُ كثيراً عن الجار والمجرور بما مر مراراً من إظهار عناية بالمقدم لما فيه من تعجيلِ المسرَّةِ والتّشويقِ إلى المؤخَّرِ...))[1].

فتعجيل المسرة كان الباعث من تقديم (لكم). فضلا عن أسباب أخرى مُرادة من وجهة نظر المفسر كالتشويق الى المؤخر.

قوله تعالى: ((هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا)) (البقرة، الآية: 29).

الشاهد تقديم (لكم) ((وتقديمُ الظرفِ على المفعولِ الصريح لتعجيل المسرة ببيان كونِه نافعاً للمخاطبين وللتشويق إليه كما سلف أي خلق لأجلكم جميعَ ما فى الأرض من الموجودات لتنتفعوا بها في أمور دنياكم بالذات أو بالواسطة وأمورِ دينكم بالاستدلال بها على شئون الصانعِ تعالى شأنُه ...))[2] فما ينفع المخاطبين يجلب لهم المسرة ولأجل تعجيلها لهم قُدم (لكم).

قوله تعالى: ((فَذَكِّرْ فَما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِكاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ)) (الطور، الآية: 29).

موطن الشاهد تقديم (بنعمة ربك)، يقول ابن عاشور: ((وَقُرِنَ الْخَبَرُ الْمَنْفِيُّ بِالْبَاءِ الزَّائِدَةِ لِتَحْقِيقِ النَّفْيِ فَحَصُلَ فِي الْكَلَامِ تَقْوِيَتَانِ، وَجِيءَ بِالْحَالِ قَبْلَ الْخَبَرِ، أَوْ بِالْجُمْلَةِ الْمُعْتَرِضَةِ بَيْنَ الْمُبْتَدَإِ وَالْخَبَرِ، لِتَعْجِيلِ الْمَسَرَّةِ وَإِظْهَارِ أَنَّ اللَّهَ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ.))[3].

فتعجيل المسرة وإظهار نعم الله كانا وراء التقديم عند المفسر.

(1) ارشاد العقل السليم : 18/3.
(2) المصدر نفسه : 78/1.
(3) التحرير والتنوير: 59/27.

قوله تعالى: ((وَيُعَذِّبَ الْمُنافِقِينَ وَالْمُنافِقاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكاتِ)) (الفتح، الآية: 6).

تطرق الالوسي لتقديم المنافقين على المشركين ملتمسا علة ذلك قائلا : ((وتقديم المنافقين على المشركين لأنهم أكثر ضررا على المسلمين فكان في تقديم تعذيبهم تعجيل المسرة.))[1]. فلأنهم الأكثر ضررا كان تقديمُ تعذيبهم مُعجلا للمسرة.

قوله تعالى: ((فَأَنْجَيْناهُ وَأَهْلَهُ إِلّا امْرَأَتَهُ كانَتْ مِنَ الْغابِرِينَ * وَأَمْطَرْنا عَلَيْهِمْ مَطَراً فَانْظُرْ كَيْفَ كانَ عاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ)) (الأعراف، الآيتين: 83-84).

موطن الشاهد تقديم الخبر بالإنجاء على الخبر بالإمطار ((وفَأَنْجَيْنَاهُ مُقَدَّمٌ مِنْ تَأْخِيرٍ. وَالتَّقْدِيرُ: فَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا وَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ، فَقَدَّمَ الْخَبَرَ بِإِنْجَاءِ لُوطٍ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) عَلَى الْخَبَرِ بِإِمْطَارِهِمْ مَطَرَ الْعَذَابِ، لِقَصْدِ إِظْهَارِ الِاهْتِمَامِ بِأَمْرِ إِنْجَاءِ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَلِتَعْجِيلِ الْمَسَرَّةِ لِلسَّامِعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ لِحُسْنِ عَوَاقِبِ أَسْلَافِهِمْ مِنْ مُؤْمِنِي الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، فَيَعْلَمُوا أَنَّ تِلْكَ سُنَّةُ اللَّهِ فِي عِبَادِهِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ بَيَانُ ذَلِكَ عِنْدَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ((فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْناهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ)) فِي هَذِهِ السُّورَةِ [٦٤] .))[2].

فتقديم الانجاء للوط عليه السلام فيه تعجيل لمسرة المؤمنين لما فيه من اطمئنان القلوب لحسن عاقبة الاسلاف من الأمم الماضية.

قوله تعالى: ((فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ فِي الْفُلْكِ وَجَعَلْنَاهُمْ خَلَائِفَ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ)) (يونس، الآية: 73).

ذكر أبو السعود: ((((وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا)) أي بالطوفان وتأخيرُ ذكره عن ذكر الإنجاءِ والاستخلاف حسبما وقع في قولِه عز وعلا وَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا والذين آمنوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مّنَّا وَأَخَذَتِ الذين ظَلَمُواْ الصَّيْحَةُ وغيرِ ذلك من الآيات الكريمة لإظهار كمالِ العنايةِ بشأن المقدّمِ ولتعجيل المسرةِ للسامعين وللإيذان بسبق الرحمةِ التي هي من مقتضيات الربوبية على الغضب))[3].

(1) روح المعاني: 249/13.
(2) التحرير والتنوير: 236/8.
(3) ارشاد العقل السليم: 165/4. وينظر فتح البيان في مقاصد القران: 102/6.

فقد تقدم الانجاء على الإغراق، وذكر المفسرون سببين لذلك، وهما: تعجيل مسرة السامع، والاشارة الى مقتضيات الربوبية في تقديم الرحمة على الغضب.

قوله تعالى: ((اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)) (إبراهيم، الآيتين:32-33).

هناك رأيان في ترتيب المتعاطفات في هذه الآية ، ذكر الالوسي ذلك قائلا: ((وتأخير تسخير الشمس والقمر عن تسخير ما تقدم من الأمور مع ما بينه وبين خلق السموات من المناسبة الظاهرة قيل: لاستتباع ذكرها لذكر الأرض المستدعي لذكر إنزال الماء منها إليها الموجب لذكر إخراج الرزق الذي من جملته ما يحصل بواسطة الفلك والأنهار أو للتفادي عن توهم كون الكل– أعني خلق السموات والأرض وتسخير الشمس والقمر– نعمة واحدة، وقد تقدم نظيره آنفا، وذكر بعضهم في وجه ذكر هذه المتعاطفات على هذا الأسلوب أنه بدأ بخلق السموات والأرض لأنهما أصلان يتفرع عليهما سائر ما يذكر بعد، وثنى بإنزال الماء من السماء وإخراج الثمرات به لشدة تعلق النفوس بالرزق فيكون تقديمه من قبيل تعجيل المسرة))[1].

فقد ذكر رأيين في هذا الترتيب وما يهمنا هو الرأي الثاني الخاص بدراستنا ، وكلا الرأيين مقبول جدا ، لكن الباحث يميل الى الرأي الأول لأنه أكثر منطقية ، بسبب الاستتباع المذكور ، كذلك فإن المسرة حاصلة بغض النظر عن الترتيب لان جميع ما مذكور في الآية عبارة عن نعم ومنافع للناس والله اعلم.

الاعتراض:

قوله تعالى: ((كَلَّآۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا * سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً * إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ)) (المدثر، الآيتين: 16-18).

موطن الشاهد الاعتراض بجملة (سأرهقه صعودا)، ذكر ابن عاشور: ((جُمْلَةُ سَأُرْهِقُهُ صَعُوداً مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ إِنَّهُ كانَ لِآياتِنا عَنِيداً، وَبَيْنَ إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ، قُصِدَ بِهَذَا الِاعْتِرَاضِ تَعْجِيلُ الْوَعِيدِ لَهُ مَسَاءَةً لَهُ وَتَعْجِيلُ الْمَسَرَّةِ لِلنَّبِيءِ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآله وسَلَّمَ)))[2].

ففي الاعتراض غايتان: تعجيل الوعيد له مساءة، وتعجيل المسرة للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم)

(1) روح المعاني: 212/7.
(2) التحرير والتنوير: 29/ 306.

قوله تعالى: ((هَذَا عَطاؤُنا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسابٍ)) (ص، الآية: 39).

موطن الشاهد الاعتراض بالجملتين: (فامنن او امسك)، جاء في تفسير الآية الكريمة: ((و «اُمْنُنْ» أَمْرٌ مُسْتَعْمَلٌ فِي الْإِذْنِ وَالْإِبَاحَةِ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنَ الْمَنِّ الْمُكَنَّى بِهِ عَنِ الْأَنْعَامِ، أَيْ فَأَنْعِمْ عَلَى مَنْ شِئْتَ بِالْإِطْلَاقِ، أَوْ أَمْسِكْ فِي الْخِدْمَةِ مَنْ شِئْتَ. فَالْمَنُّ: كِنَايَةٌ عَنِ الْإِطْلَاقِ بِلَازِمِ اللَّامِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِداءً [مُحَمَّد: ٤] . وَجُمْلَتَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ مُعْتَرِضَتَانِ بَيْنَ قَوْلِهِ: عَطاؤُنا وَقَولِهِ: بِغَيْرِ حِسابٍ، وَهُوَ تَفْرِيعٌ مُقَدَّمٌ مِنْ تَأْخِيرٍ. وَالتَّقْدِيمُ لِتَعْجِيلِ الْمَسَرَّةِ بِالنِّعْمَةِ،))[1].

فهذا الاعتراض هو تقديم في الوقت نفسه ، والتقديم هنا لتعجيل المسرة بالنعمة التي ذكرتها الآية.

الذكر والحذف:

ويشمل: الذكر لجملة ما والاخبار بها، وكذلك يشمل الحذف أحيانا، وسنقدم الذكر على الحذف:

قوله تعالى: ((ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ)) (الانعام، الآية: 62).

موطن الشاهد ذكر جملة (وهو أسرع الحاسبين) والاخبار بها في هذا الموطن تحديدا من الآية الكريمة، ذكر ابن عاشور: ((... وَهُوَ أَسْرَعُ مَنْ يُحَاسِبُ فَلَا يَتَأَخَّرُ جَزَاؤُهُ. وَهَذَا يَتَضَمَّنُ وَعْدًا وَوَعِيدًا لِأَنَّهُ لَمَّا أُتِيَ بِحَرْفِ الْمُهْلَةِ فِي الْجُمَلِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَكَانَ الْمُخَاطَبُونَ فَرِيقَيْنِ: فَرِيقٌ صَالِحٌ وَفَرِيقٌ كَافِرٌ، وَذَكَرَ أَنَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ كَانَ الْمَقَامُ مَقَامَ طَمَاعِيَةٍ وَمُخَالَفَةٍ فَالصَّالِحُونَ لَا يُحِبُّونَ الْمُهْلَةَ وَالْكَافِرُونَ بِعَكْسِ حَالِهِمْ، فَعُجِّلَتِ الْمَسَرَّةُ لِلصَّالِحِينَ وَالْمُسَاءَةُ لِلْمُشْرِكِينَ بِقَوْله : وَهُوَ أَسْرَعُ الْحاسِبِينَ.))[2].

فحرف العطف (ثم) وما ينطوي عليه من المهلة، كان له تأثيرات على الفريقين، لذلك جاءت جملة موطن الشاهد فحققت غايتين مهمتين: تعجيل المسرة للصالحين، والمساءة للمشركين.

قوله تعالى: ((اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ)) (يوسف، الآية:93).

موطن الشاهد دلالة ذكر (اذهبوا بقميصي) ذكر ابن عاشور: ((... وَفَائِدَةُ إِرْسَالِهِ إِلَى أَبِيهِ الْقَمِيصَ أَنْ يَثِقَ أَبُوهُ بِحَيَاتِهِ وَوُجُودِهِ فِي مِصْرَ، فَلَا يَظُنُّ الدَّعْوَةَ إِلَى قُدُومِهِ مَكِيدَةً مِنْ مَلِكِ مِصْرَ، وَلِقَصْدِ تَعْجِيلِ الْمَسَرَّةِ لَهُ.

وَالْأَظْهَرُ أَنَّهُ جَعَلَ إِرْسَالَ قَمِيصِهِ عَلَامَةً عَلَى صِدْقِ إِخْوَتِهِ فِيمَا يُبَلِّغُونَهُ إِلَى أَبِيهِمْ مِنْ أَمْرِ يُوسُفَ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)

(1) التحرير والتنوير:267/23.

(2) المصدر نفسه:280/7.

بِجَلْبِهِ فَإِنَّ قُمْصَانَ الْمُلُوكِ وَالْكُبَرَاءِ تُنْسَجُ إِلَيْهِمْ خِصِّيصًا وَلَا تُوجَدُ أَمْثَالُهَا عِنْدَ النَّاسِ وَكَانَ الْمُلُوكُ يَخْلَعُونَهَا عَلَى خَاصَّتِهِمْ، فَجَعَلَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِرْسَالَ قَمِيصِهِ عَلَامَةً لِأَبِيهِ عَلَى صِدْقِ إِخْوَتِهِ أَنَّهُمْ جَاءُوا مِنْ عِنْدِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِخَبَرِ صِدْقٍ.))[1].

فما ذُكر من فوائد ارسال القميص هو أن يثق الاب وان يستبعد المكيدة، كذلك تعجيل المسرة له.

وجاء في تفسير الأمثل: ((ورد في بعض الرّوايات أنّ يوسف قال: إنّ الذي يحمل قميصي المشافي إلى أبي لابدّ وأن يكون هو نفسه الذي حمل قميصي الملطّخ بالدماء إليه، لكي يدخل السرور على قلبه بعد أن ملأ قلبه حزناً وألماً من قبل! فأعطى لـ(يهودا) قميصه بعد أن اعترف له أنّه هو الذي حمل قميصه الملطّخ بالدماء إلى أبيه وأخبره بأنّ الذئب قد أكل يوسف))[2].

قوله تعالى: ((إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا)) (الفتح، الآية:1).

فقد أفاض المفسرون في الآية الكريمة ومن جملة ما قالوه ، ما ذكره أحد المفسرين ، ونقتطف مما قاله الاتي ((... وذكر بعض أجلة القائلين بأن المراد به فتح مكة أن الكلام وعد بفتحها فقيل إن الجملة حينئذ إخبار، وقيل: إنها إنشاء، واستشكل بما صرح به الرضي من أن الجمل الإنشائية منحصرة بالاستقراء في الطلبية والإيقاعية والوعد ليس شيئا منهما أما الأول فظاهر، وأما الثاني فلأن مجرد قولك لأكرمنك مثلا لا يقع به الإكرام، وقال بعض الصدور إن كلامهم مضطرب في كون الوعد إنشاء أو إخبارا، ويمكن التوفيق بأن يقال: أصل الوعد إنشاء لأنه إظهار أمر في النفس يوجب سرورة المخاطب وما يتعلق به الوعد وهو الموعود إخبار نظيره قول النحاة كأن لإنشاء التشبيه مع أن مدخولها جملة خبرية.

وقال الخفاجي: هذا ناشئ من عدم فهم المراد منه. فإن قيل: المراد من لأكرمنك مثلا إكرام في المستقبل فهو خبر بلا مرية، وإن قيل: معناه العزم على إكرامه وتعجيل المسرة له بإعلامه فهو إنشاء، وأقول لا يخفى أن الإخبار أصل للإنشاء، وقد صرح بذلك العلامة التفتازاني في المطول وليست هيئة المركب دالة على أنه إنشاء وليس فيه ما يدل بمادته على ذلك فيمكن أن يقال: إنه إخبار قصد به تعجيل المسرة))[3].

---

(1) التحرير والتنوير: 13/50-51.

(2) الأمثل: 7/ 190.

(3) روح المعاني : 13/242.

فقد اختلفوا فيها بين الخبرية والإنشائية، وكان (تعجيل المسرة) حاضرا في كلا التوجيهين.

ومن أمثلة الحذف:

قوله تعالى: ((وَأَلْقِ عَصاكَ فَلَمَّا رَآها تَهْتَزُّ كَأَنَّها جَانٌّ وَلَّى مُدْبِراً وَلَمْ يُعَقِّبْ يَا مُوسى لَا تَخَفْ إِنِّي لَا يَخافُ لَدَيَّ الْمُرْسَلُونَ * إِلّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسْناً بَعْدَ سُوءٍ فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ)) (النمل، الآيتين:10-11).

يرى ابن عاشور أن هناك حذفا يتطلبه المقام فقال: ((وَالْمَقْصُودُ مِنْ هَذَا الِاسْتِثْنَاءِ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ تَسْكِينُ خَاطِرِ مُوسَى وَتَبْشِيرُهُ بِأَنَّ اللَّهَ غَفَرَ لَهُ مَا كَانَ فَرَطَ فِيهِ، وَأَنَّهُ قَبِلَ تَوْبَتَهُ مِمَّا قَالَهُ يَوْمَ الِاعْتِدَاءِ ((هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ ،قالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي)) (الْقَصَص، الآيتين: ١٥، ١٦)، فَأُفْرِغَ هَذَا التَّطْمِينُ لِمُوسَى فِي قَالَبِ الْعُمُومِ تَعْمِيمًا لِلْفَائِدَةِ. وَاسْتِقَامَةُ نَظْمِ الْكَلَامِ بِهَذَا الْمَعْنَى يَكُونُ بِتَقْدِيرِ كَلَامٍ مَحْذُوفٍ يَدُلُّ عَلَيْهِ التَّفْرِيعُ فِي قَوْلِهِ: فَإِنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ. فَالتَّقْدِيرُ: إِلَّا مَنْ ظَلَمَ مِنْ قَبْلِ الْإِرْسَالِ وَتَابَ مَنْ ظُلْمِهِ فَخَافَ عِقَابِي فَلَا يَخَافُ لِأَنِّي غَافِرٌ لَهُ وَقَابِلٌ لِتَوْبَتِهِ لِأَنِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ. وَانْتَظَمَ الْكَلَامُ عَلَى إِيجَازٍ بَدِيعٍ اقْتَضَاهُ مَقَامُ تَعْجِيلِ الْمَسَرَّةِ، وَنُسِجَ عَلَى مَنْسَجِ التَّذْكِرَةِ الرَّمْزِيَّةِ لِعِلْمِ الْمُتَخَاطَبِينَ بِذَلِكَ كَأَنَّهُ يَقُولُ: لَمْ أُهْمِلْ تَوْبَتَكَ يَوْمَ اعْتَدَيْتَ وَقَوْلَكَ ((هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُضِلٌّ مُبِينٌ قالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي)) (الْقَصَص، الآيتين: ١٥، ١٦)، وَعَزْمَكَ عَلَى الِاسْتِقَامَةِ يَوْمَ قُلْتَ: رَبِّ بِما أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيراً لِلْمُجْرِمِينَ (الْقَصَص، الآية: ١٧). وَلِذَلِكَ اقْتَصَرَ فِي الِاسْتِثْنَاءِ عَلَى خُصُوصِ مَنْ بَدَّلَ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ إِذْ لَا يُتَصَوَّرُ فِي الرَّسُولِ الْإِصْرَارُ عَلَى الظُّلْمِ...))[1].

فقد تطرق ابن عاشور الى معنى النظم، وتقدير الكلام المحذوف، ورأى أنّ الكلام في الآية المباركة مُنتظم على الايجاز البديع مراعاة لمقام تعجيل المسرة. وهناك حديث لصاحب تفسير الأمثل عن الاستثناء وعن طبيعة الظلم الوارد في الآية الكريمة، نذكره استكمالا للفائدة:

((وهناك رأيان مختلفان لدى المفسّرين في علاقة الإستثناء بالجملة: فالرأي الأوّل: أنّ هناك حذفاً ذيل الآية آنفة الذكر وتقديره: إنّك من الآمنين وغير الأنبياء ليس آمناً. ثمّ استثنى سبحانه من ذلك «بإلاّ» من ظلم ثمّ بدل حسناً، فهو من الآمنين أيضاً (لأنّ الله غفور رحيم). والثّاني: أنّ الإستثناء من ضمن الجملة، والظلم إشارة إلى ترك الأَوْلى الذي قد يقع من

(1) التحرير والتنوير: 19/229-230.

الأنبياء، وهو لا ينافي مقام العصمة، ومعنى الآية على هذا الرأي: أن الأنبياء في حال ترك الأولى غير آمنين أيضاً، وأنّ الله يحاسبهم حساباً عسيراً، كما جاء في آيات القرآن عن قصّة آدم وقصّة يونس(عليهما السلام)!. إلّا أُولئك الذين التفتوا إلى ترك الأولى، وانعطفوا نحو الله الرحيم، فبدلوا حسناً وعملا صالحاً بعد ذلك، كما جاء في شأن موسى (عليه السلام) نفسه في قصّة قتله الرجل القبطي، إذ اعترف موسى بتركه الأَولى، فقال: (ربّ إنّى ظلمت نفسي فاغفر لي)))[1].

العدول من المستقبل الى الماضي:

ومن الاثار الأخرى لتعجيل المسرة في النص الكريم العدول في الأفعال، من صيغة الى أخرى.

من ذلك قوله تعالى: ((إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا)) (الفتح، الآية: 1).

فخبر البشارة وتعجيل المسرة بها كان العلة وراء العدول في الآية الكريمة عند أحد المفسرين، فقد ورد في حاشية الشهاب: ((قوله: (والتعبير عنه بالماضي لتحققه) هذا وجه الشبه المصحح والمرجح فإن أخباره تعالى كلها كذلك فهو لتسلية المؤمنين، وتعجيل مسرة البشارة بما هو محقق))[2].

فقد عُدل الى الماضي في قوله تعالى (فتحنا) من أجل المؤمنين، لتسليتهم والتعجيل بمسرتهم.

الخاتمة

في خاتمة بحثنا ندرج أبرز ما توصل اليه البحث على النحو الآتي :

1- أثبت البحث أنّ هناك فرقا بين المسرة من جانب ، وتعجيلها من جانب ، فالمسرة مجرد حصولها من دون النظر الى وقت معين، أما في تعجيلها فالتوقيت عنصر مهم، وقد سلط البحث الضوء على الأمرين ، إذ لم يُفرد بحث مستقل بهما بحدود اطلاعي.

وقد تنوعت العبارات الواردة في مبحث (المسرة) وعلى النحو الآتي: المسرة، ادخال المسرة، ادخال السرور، المسارّ.

كذلك تنوعت العبارات الواردة في مبحث تعجيل المسرة، فقد ورد: تعجيل المسرة، والمسارعة الى ادخال المسرة.

(1) ينظر: الأمثل : 14/12.

(2) حاشية الشهاب: 52/8.

وكان التعبير بتعجيل المسرة الاكثر استعمالا.

2- أثبت البحث أن هناك آثارا لمراعاة (المسرة) او (تعجيلها) في كلام المنشئ، فقد لجأ المفسرون الى التعليل بـ (المسرة او تعجيلها) لكثير من المسائل الواردة في النص القرآني.

3- من أجلى صور آثار المسرة وأظهرها في النص القرآني: التأكيد، والايجاز، والمفاجأة في الذكر، والتفنن والتنوع باختيار المفردات التي تبعث على السرور، كذلك الاتيان بصيغ دون صيغ، فضلا عن التقديم والتأخير.

4- من اكثر آثار تعجيل المسرة ورودا _ بحسب استقراء الباحث_ : التقديم والتأخير، والاعتراض، والذكر والحذف، والعدول. وكان للتقديم والتأخير النصيب الأوفى، فهو الأبرز ورودا عند المفسرين، وقد تنوعت صوره وأشكاله، فثمة تقديم الجار والمجرور _وهو الأبرز_ وتقديم اسم على اسم اخر، وتقديم جملة على جملة.

5- قد تُذكر علة المسرة او تعجيلها بوصفها علة وحيدة لتركيب ما، وقد تذكر مشتركة مع علة أخرى، وقد تحصل ترجيحات أحيانا عند المفسر لاختيار إحدى العلل.

المصادر والمراجع:

1- إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين بن أحمد مصطفى درويش (ت ١٤٠٣ هـ) ، دار الإرشاد للشؤون الجامعية - حمص - سورية، (دار اليمامة - دمشق - بيروت) ، (دار ابن كثير - دمشق - بيروت) ، الطبعة: الرابعة، ١٤١٥ هـ.

2- الامثل في تفسير كتابِ اللهِ المُنزَل ، الشَيخ نَاصِر مَكارم الشِيرازي، الاميرة للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت-لبنان، ط1 ،2005م.

3- أوضح التفاسير، محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب (ت ١٤٠٢هـ) ، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها ، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤ م

4- الإيضاح في علوم البلاغة ، محمد بن عبد الرحمن بن عمر، أبو المعالي، جلال الدين القزويني الشافعي، المعروف بخطيب دمشق (ت ٧٣٩هـ) ، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي ، الناشر: دار الجيل – بيروت ، الطبعة: الثالثة.

5- البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (ت ١٢٢٤هـ) ، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان ، الناشر: الدكتور حسن عباس زكي – القاهرة ، 1422 هـ.

6- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) ، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس ، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

7- تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت ٩٨٢هـ) ، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

8- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن ، محمد الأمين بن عبد الله الأرمي العلوي الهرري الشافعي [ت ١٤٤١ هـ] المدرس بدار الحديث الخيرية في مكة المكرمة ، إشراف ومراجعة: الدكتور هاشم محمد علي بن حسين مهدي، خبير الدراسات برابطة العالم الإسلامي ، الناشر: دار طوق النجاة، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١م.

9- التفسير القرآني للقرآن ، عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠ هـ) ، دار الفكر العربي – القاهرة.

10- التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، مؤسسة دار الكتاب الإسلامي ، مطبعة ستار ، ط3، 1426هـ.

11- تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) ، أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين النسفي (ت ٧١٠هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي ، راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو الناشر: دار الكلم الطيب، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.

12- حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، الْمُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي ، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت ١٠٦٩هـ) ، دار النشر: دار صادر – بيروت.

13- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي (ت ١٢٧٠هـ)، المحقق: علي عبد الباري عطية ، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

14- فتحُ البيان في مقاصد القرآن ، أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (ت ١٣٠٧هـ) ، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري ، الناشر: المَكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت ، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.

15- القاموس المحيط ، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت ٨١٧هـ) ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة ، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي ، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.